Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)



مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)

أقارب الأنبياء وذويهم في السنة النبوية(*)

أ.م.د/ بلال حميد يحيى الروحاني
أستاذ الحديث وعلومه المشارك
جامعة إقليم سبأ – اليمن
Dr.belal2013@gmail.com

*) تاريخ تسليم البحث 17/7/2024 تاريخ قبوله للنشر 8/9/2024
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

أقارب الأنبياء وذويهم في السنة النبوية

أ.م.د/ بلال حميد يحيى الروحاني
أستاذ الحديث وعلومه المشارك
جامعة إقليم سبأ – اليمن

الملخص

تميز المنهج الرباني بعدالته في التشريع على كل المقاييس الوضعية، ووضع قيماً أخلاقية سامية فيها النور والخير لبني الإنسان، ولكن الشيطان يسعى لهدم مثل هذه القيم عبر مدعيي الإسلام، ففرقوا بين الناس على أساس العرق والأسرة خلافاً للمنهج النبوي، وهدفت هذه الدراسة إلى توضيح المنهج النبوي الصحيح، في بيان مكانة القرابة من الأنبياء وذويهم في السنة النبوية، واتبع الباحث منهج التتبع والاستقراء ثم المنهج التحليلي، لبيان الحقيقة، وقد تناول البحث في المبحث الأول التعريفات الخاصة بالبحث، ثم بيان مكانة القرابة في السنة النبوية، وختم بالمبحث الثالث: الأحاديث الواردة في أقارب الأنبياء وذويهم وبيان مدلولاتها، وتوصل البحث إلى نتائج عديدة من أهمها: أن القرابة النسبيّة للأنبياء لا تنفع الإنسان مهما علت هذه القرابة، وتجلي العدالة الإلهية في هذه المساواة بحيث لا يتفاضل الناس إلا بالعمل الصالح والإيمان الصادق، وأن القرابة من الأنبياء لا تسرع بالإنسان إلى الجنة، والقرابة من الطغاة والجبارين لا تؤخر الصالح مهما كانت درجة طغيانه، وأن أقارب النبي صلى الله عليه وسلم يجري عليهم ما يجري على قرابات الأنبياء جميعاً، كآدم وابنه قابيل، ونوح وابنه وزوجته، ولوط وزوجته، فهم متساوون مع بقية البشر.

الكلمات المفتاحية: القرابة، الأنبياء، العدالة، السنة النبوية.

Relatives of the Prophets and Their Kinsfolk in the Prophet's Sunnah

Dr. Belal hamid yahya al-rawhani
Associate Professor of Hadith and its
Sciences at University of Saba Region

Abstract

The divine approach is characterized by its justice in legislation on all man-made standards. It sets sublime moral values which have virtue and goodness for human beings, but Satan seeks to destroy such values through the pretenders of Islam, who, unlike the Prophet's approach, discriminate between people on the basis of race and family. This study is aimed to clarify the correct prophetic approach, concerning the status of the prophets' relatives and their kinsfolk in the Prophet's Sunnah. The researcher uses the inductive method as well as the analytical approach in order to clarify the truth. The research has three sections. The first section is about the research definitions. The second section is about the status of kinship in the Prophet's Sunnah. The third section deals with the Hadiths about the relatives of the prophets and their kinsfolk, and clarifying their implications. The research arrives at several findings, among which are: first, the kinship of the prophets does not benefit the human being no matter how high this kinship is; second, divine justice is manifested in this equality so that there is no discrimination among people except by good work and sincere faith; third, to be a relative of a prophet does not rush man to heaven, and to be a relative of a tyrant does not delay the good man from entering the heaven, regardless of the degree of his tyranny. Fourth, the relatives of the Prophet, peace be upon him, have the same treatment as the relatives of all prophets, such as Adam and his son Cain, Noah and his son and wife, and Lot and his wife; and they are all equal to the rest of mankind.

Keywords: Kinship, Prophets, Justice, the Prophet's Sunnah.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن السنة النبوية المطهرة مليئة بالكنوز الربانية والتي فيها النور المبين للبشرية، فما حاد أحد من البشر عن المنهج النبوي الرباني إلا وزاغ وطغى وظلم، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١]، فتخبط البشـــرية وتيهان الإنســـان في هذه الحياة ما هو إلا نتاج لبعده عن هذا المنهج النبوي، وما نراه من ظلم وطغيان في تعاملات البشر إلا ثمرة من ثمار التفكير البشري خارج منهج الله.

وقد وضع القرآن الكريم مبدأ العدالة في مصاف القيم الإسلامية، وسار منهج النبي صلى الله عليه وسلم على هذا المبدأ في تعاملاته وتربيته لأتباعه، فتبعه أطياف متنوعة من كل الأعراق والأعراف، وذلك قناعة منهم في عظم هذا المنهج.

فمبدأ المساواة بين البشر مبدأ مقنع لكل الأطياف، وفيه الخير والنور لكل الأعراق، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣] فلا تفاضـــل إلا بالتقوى والتقوى محلها القلب، والقلب لا يطلع عليه ويعرف حقيقته سوى الله تعالى، فما أجمله من منهج، وما أعدله من دين.

وقد ظهرت للأسف طوائف متعددة تدعي أفضلية القرابة من النبي صلى الله عليه وسلم، رغم وضوح المنهج النبوي، إلا أن هذا الاعتقاد سائد ومسيطر على كثير من الناس، ولخطورته كان لزاماً على الباحثين بيان وإبراز منهج النبي صلى الله عليه وسلم بالأدلة الصحيحة، مما كان دافعاً للباحث أن يغوص بما تيسر من الأدلة لبيان الحقيقة ودحض الباطل المفترى على ديننا وأمتنا.

فكان هذا العنوان: (أقارب الأنبياء وذويهم في السنة النبوية) دراسة موضوعية، لبيان المنهج النبوي في ذلك.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

١- إبراز مكانة أقارب الأنبياء والمرسلين في السنة النبوية.

٢- بيان أن القرابة لا تنفع ولا تضر، وما ينفع الإنسان إلا القرب من الله تعالى.

٣- دحض افتراءات بعض الطوائف في معتقداتهم في أفضلية القرابة.

منهج البحث:

يتبع البحث منهج التتبع والاستقراء ثم المنهج التحليلي لبيان المدلول، وإبراز الفائدة.

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث حسب اطلاعه القاصر على بحث خاص بهذا الموضوع، إلا أن رسالة ماجستيرٍ لا زالت قيد الدراسة والبحث وهي من اقتراح الباحث، تتناول موضوعاً مشابهاً لكن في القرآن الكريم، وهذا البحث يتكلم في الموضوع في السنة النبوية.

حدود البحث:

يتناول البحث الموضوع في كتب السنة النبوية المشهورة.

خطة البحث:

تتوزع خطة البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها أهداف البحث، ومنهجه، والدراسات السابقة، وحدوده، وخطته.

المبحث الأول: تعريفات البحث.

المبحث الثاني: مكانة القرابة في السنة النبوية.

المبحث الثالث: الأحاديث الواردة في أقارب الأنبياء وذويهم وبيان مدلولاتها.

المبحث الأول: تعريفات البحث.

تعريف القرابة:

قرب الشيء بالضم يقرب قُرباً، أي دنا. وقال الفراء: إذا كان القريب في معنى المسافة يذكر ويؤنث، وإذا كان في معنى النسب يؤنث، بلا اختلاف بينهم. تقول: هذه المرأة قريبتى، أي ذات قرابتي. وقربته بالكسر أقربه قربانا، أي دنوت منه، والقرابة: القُربى في الرحم، وهو في الأصل مصدرٌ. تقول: بيني وبينه قرابة، وقرب، وقربى ومقربة ومقربة، وقربة، وقُرُبَةٌ بضم الراء. وهو قريبي وذو قرابتي، وهم أقْرِبائي وأقاربي(١).

وفي الاصطلاح: القرابة، والقربى: الدنو فِي النّسَب، وأقارب الرجل، وأقربوه: عشيرته الأدنون(٢).

تعريف الأنبياء:

تعريف النبي في اللغة:

مشتق من النبأ، وهو الخبر؛ قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١- ٢].

وإنما سُمي النبي نبيًّا لأنَّه مُنبَأ؛ أي: مُخْبَر من الله عزَّ وجلَّ أي: يُوحِي الله إليه نبأً من شَرعِه؛ وقيل: النبي مشتق من النَّبْوَة، وهي الشرف؛ أي: المكان المرتفِع من الأرض، فمُرتفعات الأرض أشرافُها، فإنَّ العرب تُطلِق لفظ (النبِيّ) على العَلَمِ من أعلام الأرض التي يُهتدَى بها؛ لشرفها وإشرافها على ما سواها.

تعريف النبيُّ في الاصطلاح:

إنسانٌ حرٌّ ذكَر أُوحِي إليه بشرعٍ، وبُعِث إلى قومٍ مؤمنين بشرعٍ سابق، فهو الذي ينبئه الله تعالى أي: يوحي إليه أنْ يعمل بشريعة مَن قبله، ويبعثه الله إلى قومٍ مؤمنين بشريعةٍ سابقة ليُذكِّرهم ما نسوه، وليُبطِل ما ابتدَعُوه، ويُصحِّح ما أخطؤوا فيه، ويحكُم بينهم فيما اختلفوا فيه، ويكون قُدوةً لهم في اتِّباع الرسول السابق، فهو يحكُم بشريعة مَن قبله، ولا ينزل عليه كتابٌ، وقد يُوحَى إليه وحيٌ خاص في واقعة مُعيَّنة.

تعريف الرسول في اللغة:

مأخوذٌ من البعث وهو الإرسال والتوجيه؛ فالرسول هو المبعوث الموجَّه برسالة؛ فالرُّسلُ عليهم الصلاة والسلام إنما سُمُّوا رسلاً لأنهم بُعثوا من قِبَلِ الله تعالى برسالةٍ حملوها وأُمِروا بتبليغها للناس؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ [المؤمنون: ٤٤]؛ أي: بعثناهم يتبع بعضهم بعضًا.

---

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/٢٠٠) مختار الصحاح (ص: ٢٥٠).

(٢) انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٦/٣٨٩).

تعريف الرسول في الاصطلاح:

إنسان حرٌّ ذكَر أُوحِي إليه بشرعٍ وأُمِر بتبليغه لقومٍ كافرين، أو لم تبلغهم رسالةٌ سابقة، فهو الذي ينبئه الله بوحيه الشرعي ثم يُوجّهه إلى مَن خالَف أمرَه، أو على قومٍ لم يأتهم نذيرٌ من قبله[1].

ولا فرق في تناول هذا البحث بين النبي والرســـول، فهو يتناول كليهما، فالمبدأ الذي وضـــعه الله في الأرض، والعدالة الربانية تسري على أقارب الأنبياء والمرسلين سواء بسواء.

تعريف السنة النبوية:

السنة لغة: الطريقةُ المستقيمة المحمودة، وَلذَلِك قيل: فلانٌ من أهل السنّة.

والْأَصْلُ فِيهَا الطَّرِيقَةُ والسِّيرة، وَإِذَا أُطْلِقَت فِي الشَّرع فَإِنَّمَا يُرادُ بِهَا مَا أمَر بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَهَى عَنْهُ ونَدَب إِلَيْهِ قَوْلًا وفِعْلا، مِمَّا لَمْ يَنْطق بِهِ الكِتابُ العزيزُ. وَلِهَذَا يُقَالُ فِي أدِلَّة الشَّرع الكِتابُ والسُّنَّة، أَيِ الْقُرْآنُ والحديث[2].

وقال الراغب[3]: "سـنة النبي ﷺ طريقته التي كان يتحراها، وسُـنة الله عزَّ وجل قد تقال لطريقة حِكْمته وطريقة طاعته".

وكل من بدأ أمراً عمل به قومٌ بعده قيل هو الذي سَنَّهُ[4].

قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُـولِ اللَّهِ أُسْـوَةٌ حَسَـنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١].

أما السنة في الاصطلاح فهي:

كل ما أُثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلْقية أو خُلُقية.

المبحث الثاني: مكانة القرابة في السنة النبوية.

قد بينت الســـنة النبوية وســـائل الرفعة والقرب من الله عز وجل، وقبل ذلك كتاب الله تعالى، فالإيمان بالله والأعمال الصالحة هي ما تقرب الإنسان من ربه، وهذا لا يختلف فيه اثنان.

إلا أن البعض قد يظن أن القرابة النَســـبيّة من الأنبياء قد تقرب من الله تعالى، وأن لها شـــأناً وفائدة عنده، وهذا اعتقاد جرى على طائفة عريضـة من الشـيعة وبعض الطوائف، وغذّى الشـيطان هذا الاعتقاد ونمّاه، والمتأمل للأدلة الشرعية يجدها تنص على بطلان هذا الاعتقاد، وعدم صحته.

---

(١) انظر: لسان العرب (١٦٣/١)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٠٩/٢).

(٣) المفردات ٤٢٩. بتصرف.

(٤) لسان العرب (ج١٣ ص٢٢٥) ط بيروت.

وعند النظر في مكانة القرابة في السنة النبوية، وبيان منهج النبي صلى الله عليه وسلم وكل الأنبياء من قبله في التعامل مع أقربائهم، وبيان منزلتهم، نجد أن القرابة لا تقدم ولا تأخر، وليس لها أثر عند الله تعالى، ومن هنا لا بد من الوقوف عند نقاط مهمة في بيان ذلك منها:

١–قيام الأنبياء بتوجيه الدعوة للأقرباء وذويهم مهما بلغت درجة القرابة.

فما من نبي إلا وبدأ بالأقربين بدعوته إلى الله، وقد أمر الله جميع المؤمنين بذلك أيضاً فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: ٦]

وقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله عز وجل: {وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء:٢١٤]، قال: «يا معشر قريش –أو كلمة نحوها– اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا[(١)]».

ففي هذا الحديث ذكر النبي صلى الله عليه وسلم جميع الأقربين من قبيلته حتى ابنته، وأنذرهم جميعاً، وأعلمهم أنه بمكانته ومنزلته لا يملك لهم ولا لغيرهم شيئاً، ومن أراد النجاة فعليه بالإيمان والعمل الصالح، مالم فلن ينفعه قرابته من خير البشر.

بل وأمره الله أيضاً أن يأمر أهله، وهم أقرب الأقربين بالصلاة، وأن يصبر على ذلك دون كلل أو ملل، فقال: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا} [طه: ١٣٢].

وامتدح الله إسماعيل عليه السلام بأشياء كثيرة من أهمها: أنه كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة، فقال: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا} [مريم: ٥٤، ٥٥]

وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يخير أزواجه بين الدنيا والآخرة كما سيأتي معنا، فالآخرة بالأعمال الصالحة، والإيمان بالله، والدنيا بأن يمتعهن متاعاً حسناً، بمعنى أنه لن ينفعكن قربكن من رسول الله وزواجكنَّ به.

بل وأمر نبيه أن يأمر أزواجه وبناته ونساء المؤمنين بالحشمة والعفة والطهارة، فقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب: ٥٩]. ولو كانت القرابة نافعة لكفاهنَّ ذلك عن هذه القربات والطاعات.

---

(١) رواه البخاري، رقم (٢٧٥٣) (٤/٦)، ومسلم (٢٠٦) (١/١٩٢).

٢-دلالة دعوة الأنبياء لذويهم وأقربائهم.

لو كانت القرابة نافعة لما أمر الله نبيه بالبدء بالأقربين في دعوتهم وإنذارهم من عذاب الله تعالى، فالقرابة أصلاً ليست من أعمال الإنسان وسعيه، ولم تكن ناتجةً عن اختيار الإنسان، أو خلاصة لأفكاره وتأملاته، بل هي اختيار من الخالق سبحانه، فليس لصاحبها أيّ فضل حتى يرتفع بها، فمن جعله من قرابة الأنبياء أو المرسلين هو الله جل جلاله، أما هو فلم يكن شيئاً مذكوراً، وهو مكلّف مثل بقية البشر، وهذا ما سنُبيّنه بالأدلة إن شاء الله تعالى.

٣-ما ورد في السنَّةِ النبويّة مما يدل على عدم نفع القرابةِ مهما علَتْ.

ثبت في السنة النبوية المطهرة أدلة في بيان عدم نفع القرابة أو مزيَّتِها أو مكانتها، وهو المنهج الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وسرى على سائر الأمة فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ"(١).

يقول النووي: من كان عمله ناقصاً، لم يلحقه بمرتبة أصحاب الأعمال، فينبغي أن لا يتكل على شرف النسب، وفضيلة الآباء، ويقصر في العمل(٢).

ويقول ابن تيمية: الَّذِي يَنْفَعُ النَّاسَ طَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَأَمَّا مَا سِوَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُهُمْ لَا قَرَابَةٌ وَلَا مُجَاوَرَةٌ وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ كَمَا ثَبَتَ عَنْهُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ: {يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ لَا أُغْنِي عَنْك مِنْ اللَّهِ شَيْئًا. يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْك مِنْ اللَّهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسُ عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْك مِنْ اللَّهِ شَيْئًا}(٣).

وقد أوضح صلى الله عليه وسلم من هم أولياؤه صراحة، كما في الصحيحين من حديث عَمْرَو بْنَ العَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِهَارًا غَيْرَ سِرٍّ يَقُولُ: "إِنَّ آلَ أَبِي - قَالَ عَمْرٌو: فِي كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ بَيَاضٌ - لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ" زَادَ عَنْبَسَةُ بْنُ عَبْدِ الوَاحِدِ، عَنْ بَيَانٍ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبُلُّهَا بِبَلاَهَا»(٤).

قال القاضي عياض في قوله (إن آل أبي): هي كناية عن قوم كره الراوي تسميتهم لما يقع في نفوس ذراريهم، وبقي فقه الحديث وحكمته في قوله: "إنما ولى الله وصالح المؤمنين" فأفاد أنَّ أولياءه صالح المؤمنين وإن بَعُدَ نسبهم منه، وأنَّ من ليس بمؤمنٍ ولا صالح ليس له بولي وإن قرُبَ نسبه منه، ودل الحديث أن الولاية في الإسلام إنما هي بالموافقة فيه بخصال الديانة وزمام الشريعة، لا بامتشاج النسب وشجنةِ الرحم(٥).

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٦٩٩) (٢٠٧٤/٤).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢٣/١٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٤٣٥/٢٧).

(٤) رواه البخاري، رقم (٥٩٩٠) (٦/٨) ومسلم رقم (٢١٥) (١٩٧/١).

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦٠٠/١).

وقال النووي: ومعناه إنما وليي من كان صالحا، وإن بعد نسبه مني، وليس وليّي من كان غير صالح وان كان نسبه قريباً[١].

قال ابن حجر: قال أبو بكر بن العربي المراد آل أبي طالب ومعنى الحديث أني لا أخص قرابتي ولا فصيلتي الأدنين دون المؤمنين وقال غيره المراد آل أبي العاص بن أمية[٢].

أما حديث عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبَبِي ونَسَبِي»[٣]. فهو ضعيف ومناف لقوله تعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُون} [المؤمنون: ١٠١].

فلا يُتَعلَّق بحديثٍ لم يصح، وإن صحَّ فدلالته ظنية، وقد تواترت الأدلة القطعية في الثبوت والدلالة ألَّا نفع للقرابة، وأن النفع لا يكون إلا بالعمل الصالح مع الإيمان الصادق، فمن ركن إلى نسبه أو عشيرته فهو يركن إلى وهم.

المبحث الثالث: الأحاديث الواردة في أقارب الأنبياء وذويهم وبيان مدلولاتها.

- آدم عليه السلام وأبنائه.

أخرج الشيخان في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ[٤]».

فقابيل ابن آدام عليه السلام حين قتل أخاه هابيل لم يعفى عنه، كونه ابن آدام أبو البشر، وخلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، بل سيتحمل دم أخيه، وكل دم يُسفك إلى قيام الساعة كونه أول من سنّ هذه السنّة السيئة، وهذه العدالة التي جعلها الله في الأرض، فلا مجاملة ولا عاطفة في الحق، فمن عمل صالحاً فلنفسه، ومن عمل سيئةً فعليها.

---

(١) شرح النووي على مسلم (٣/٨٨).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/٣٣١).

(٣) رواه الطبراني في الكبير، رقم (٢٦٣٣)، (٣/٤٤) من طريق جعفر بن محمد بن سليمان النوفلي المديني، ثنا إبراهيم بن حمزة الزبيري، ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه علي بن أبي طالب فساره، ثم قام علي فجاء الصفة، فوجد العباس وعقيلا والحسين، فشاورهم في تزويج أم كلثوم عمر، فغضب عقيل: وقال: يا علي ما تزيدك الأيام والشهور والسنون إلا العمى في أمرك، والله لئن فعلت ليكونن وليكونن لأشياء عددها. ومضى يجر ثوبه، فقال علي للعباس: والله ما ذاك منه نصيحة، ولكن درة عمر أخرجته إلى ما ترى، أما والله ما ذاك رغبة فيك يا عقيل، ولكن قد أخبرني عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي». فضحك عمر رضي الله عنه، وقال: «ويح عقيل، سفيه أحمق». وقد قام د. عثمان الخميس بجمع طرق الحديث ورواياته من مظان الكتب الحديثية وقام بدراستها دراسة مستفيضة مستوفية، وخلص إلى أن الحديث بمجموع هذه الروايات ضعيف لا يصح. انظر: كتاب الأحاديث الواردة في شأن السبطين الحسن والحسين ص٤١٠.

(٤) رواه البخاري، رقم (٣٣٣٥) (٤/١٣٣)، ومسلم رقم (١٦٧٧) (٣/١٣٠٣).

فبرغم أنهم أول سلالة للبشرية، ومكانة أبيهما آدام عليه السلام عالية، فهو أبو البشر وخلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه، إلا أن هذا لم يشفع لولديه عند الله، فلا يبعث الإنسان إلا بمفرده دون أقربائه، كما قال تعالى: {وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} [مريم: ٩٥] فلا ينجيه إلا عمله الصالح.

- **إبراهيم عليه السلام وأبيه.**

فإبراهيم عليه السلام دعا قومه، وأنذرهم، وأرشدهم، لكنهم عصوه، ولم يطيعوه، وكان من بينهم أبوه آزر، فكان أول العصاة الرافضين لدين إبراهيم، مما جعل إبراهيم عليه السلام يتبرأ منه، ويعتزله، ولم ينفعه قرابته منه، وحين يلقاه إبراهيم يوم القيامة تدركه الرحمة والرأفة بأبيه، فيطلب من الله الرحمة، فيمسخ الله آزر إلى ذيخ (ضبع) متلطخ ويلقى في النار، كما أورد ذلك الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني، فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: "إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم، ما تحت رجليك؟ فينظر، فإذا هو بذيخ[١] ملتطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار[٢]". ملتطخ منتن، قذر، متسخ، فيمسخ الله أباه ضبعًا، والحكمة في مسخه ضبعًا لتنفر نفس إبراهيم منه، فلا يشفق عليه، ولا يحس نحوه بأي أسف.

وأما قوله (أبي الأبعد): فيجوز أن يراد الأبعد من رحمة الله، ولابد فيه من تقدير مضاف، أي من خزي أبي الأبعد، والفاء في قوله: (فأيّ خزي) مستعقب بمحذوف، أي أنك وعدتني أن لا تخزني وقد أخزيتني، وإذا كان كذلك فأي خزي، وإنما أراد الأبعد في المرتبة والالتحاق بأهل النار فهو إهانة، وفي الإهانة جلبُ الخزي العظيم، وقد وعدتني أن لا تخزيني[٣].

فلم ينفع أبو إبراهيم قرابته من ابنه خليل الرحمن، فلا ينفع المرء إلا عمله الصالح، حتى أن إبراهيم وعد أباه أنه سيستغفر له، لكن لما تبين له أنه عدوٌّ لله تبرأ منه، والتبرؤ دليل على المفاصلة التامة بين المسلم والكافر مهما كانت القرابة بينهم.

- **نوح وابنه وزوجته، ولوط وزوجته.**

أورد القرآن الكريم أمثلة في عدم نفع القرابة للعصاة والكفار، ومن هذه الأمثلة وأبرزها، نوح وابنه، وكيف عاقبه الله بالغرق، رغم دعاء نوح لربه، وطلبه منه أن ينجي ابنه من الغرق، لكن الله نهاه عن ذلك، بل نهاه عن مجرد الدعاء لابنه الكافر، وقوله إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح، وكذلك زوجة نوح حين خانة زوجها، وزوجة لوط كذلك، فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً، كما في سورة التحريم.

---

(١) الذيخ: ذكر الضبع، وأراد بالتَّلَطُّخَ التلطُّخَ برَجِيعِه، أو بالطِّين، انظر: جامع غريب الحديث (٢٤/١).

(٢) رواه البخاري، رقم (٣٣٥٠) (١٣٩/٤).

(٣) انظر: شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٣٥٠٠/١١)، المفاتيح في شرح المصابيح (٤٨٠/٥).

فهؤلاء أنبياء الله وأقرب المقربين منه إلا أن الله تعالى لم ولن يقبل من الإنسان إلا عمله وسعيه، {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} [النجم: ٣٩].

- **محمد صلى الله عليه وسلم وأعمامه وأمه وأبيه وزوجاته.**

دعى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قومه وبدأ بالأقربين، لكن دعوته لم تقابل بالترحيب والقبول من قومه، بل ومن أقرب المقربين، فمما لا يخفى على أحد، موقف عمه صنو أبيه عبد العزى بن عبد المطلب المعروف (بأبي لهب)، كان من أشدِّ الناس عداء له، فقد أورد الإمام أحمد في مسنده عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ رَبِيعَةُ بْنُ عِبَادٍ مِنْ بَنِي الدِّيلِ، وَكَانَ جَاهِلِيًّا قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ، وَهُوَ يَقُولُ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا". وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيءُ الْوَجْهِ، أَحْوَلُ ذُو غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ يَتْبَعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَذَكَرُوا لِي نَسَبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالُوا لِي: هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ(١).

ومن هنا نوقن أن عمه كان يعلم علم اليقين أن دعوة ابن أخيه لا تُقرِّبُ القريب ولا تبعد البعيد، فمعيارها غير المعايير البشرية القائمة على العصبية والنسب، معيار واحد ألا وهو التقوى، وهذا بلا شك غير مقنع لمن يرى نفسه فوق الجميع حسباً ونسباً ومالاً.

فمعيار التقوى معناه أنه قد يتقدم العبيد والضعفاء والمساكين والفقراء على أصحاب النسب والحسب والمال، لذا نصب العداء لابن أخيه، ولم يفتر عن شتمه وإيذائه وعدائه، فأنزل الله سورة المسد، تفضحه وتهدده، وتبين للجميع أنه لا مكانة للقرابة في الإسلام، والمعيار الحقيقي الوحيد الإيمان الصادق والعمل الصالح.

- **عمه أبو طالب.**

وممن وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم في بداية دعوته، وأسند ظهره ودعوته إليه، وكان نصيراً له ومعيناً، بل ودخل شعب أبي طالب مع المسلمين، وتحمل الحصار والفقر والحاجة، ولكنه أبى أن يشهد ألا إله إلا الله، فكان من الغاويين، ولم تنفعه قرابته، ولا حتى عمله وحمايته لابن أخيه، لأنه كان كافراً، فقد أخرج البخاري في صحيحه عَنِ ابْنِ المسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: «أَيْ عَمِّ، قُلْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المطَّلِبِ، فَلَمْ يَزَالاَ يُكَلِّمَانِهِ، حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ» فَنَزَلَتْ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ} [التوبة: ١١٣]. وَنَزَلَتْ: {إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص: ٥٦](٢).

(١) رواه أحمد (١٩٠٠٤) (٣٤٢/٣١)، وابن حبان (٦٥٦٢) (٥١٨/١٤).

(٢) رواه البخاري، رقم (٣٨٨٤) (٥٢/٥).

وجزاء لعمله شفع له النبي صلى الله عليه وسلم وخفف عنه العذاب، كما ورد في الصحيحين من حديث العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»(١).

وحديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ(٢) مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ»(٣).

- **أبو النبي محمد صلى الله عليه وسلم (عبد الله بن عبد المطلب) وأمه (آمنة بنت وهب).**

كلنا نعلم مكانة الأب والأم فطرة، فأعظم مقام في النسب هو الأبوة والبنوة والأمومة، ولكن دين الله لا يفرق بحسب المعايير البشرية، فمن اختار للإنسان نسبه ووالديه وأبنائه هو الله، وليس للإنسان أي فرصة ليختار ذلك، لذا لا يحق للإنسان أن يركن إلى قرابته أو نسبه، بل ومهما بلغت مرتبة القرابة فلا تؤثر في القرب من الله أو البعد عنه، فالله حدد لنا معياراً واحداً لذلك.

فمن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم عاش يتيم الأبوين، مات أبوه وهو في بطن أمه، وأمه وهو لازال طفلاً صغيراً، بمعنى أنهما فارقا الحياة قبل بعثته صلى الله عليه وسلم، ولم يكونا من أهل التوحيد وكانا من أهل الفترة، ومن المعلوم أن كل من مات مشركاً بالله فهو للنار كائنا من كان، وقد ماتا على الشرك.

وإن كانا من أهل الفترة إلا أننا لا نعلم مصيرهما، فأهل الفترة يمتحنون يوم القيامة، وهما منهم، إلا أن الله تعالى جعل منهجاً واحداً لكل البشر، ومنهم أبو النبي صلى الله عليه وسلم ووالدته آمنة، فقد روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ(٤)».

قال القاضي عياض رحمه الله: سبب زيارته صلى الله عليه وسلم قبرها أنه قصد قوة الموعظة والذكرى بمشاهدة قبرها ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت .... وبكاؤه صلى الله عليه وسلم على ما فاتها من إدراك أيامه والإيمان به(٥).

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٨٨٣) (٥/٥٢) ومسلم رقم (٢٠٩) (١/١٩٤).

(٢) الضحضاح: أصل الضحضاح فِي الماء إذا كَانَ قَلِيلاً رَقِيقاً، فَشبه قلَّة النَّار بِه، غريب الحديث للقاسم بن سلام (٤/٣٩٢)

(٣) رواه البخاري رقم (٣٨٨٥) (٥/٥٢) ومسلم رقم (٢١٠) (١/١٩٥).

(٤) رواه مسلم، رقم (٩٧٦) (٢/٦٧١).

(٥) انظر: شرح النووي على مسلم (٧/٤٥)

أما أبو النبي صلى الله عليه وسلم فالحديث فيه أصرح كما روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «فِي النَّارِ»، فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ، فَقَالَ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ[1]».

فالإسلام ليس دين العنصرية حتى يتعامل الإنسان بالعاطفة، فلا فرق بين قرابة النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم، فكلهم متساوون في الواجبات والحقوق، وهذا من عدل الله تعالى، فلا مجاملات ولا عنصرية بتاتاً في الإسلام، وإن كنا نتمنى لأبي النبي صلى الله عليه وسلم وأمه الخير والفلاح، لكن هذا عدل الله في خلقه.

- **أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.**

وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم لا فرق بينهن وبين سائر الخلق في الواجبات والتكاليف، ولا عفو عليهن في ذلك لقرابتهن، بل بالعكس من ذلك فقد ضاعف الله لهن الثواب لمن أحسنت، وضاعف عليهن العقاب لمن أساءت، فقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) } [الأحزاب: ٢٨ - ٣٠].

فعن عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا أُمِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَخْيِيرِ أَزْوَاجِهِ، بَدَأَ بِي، فَقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، فَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ»، قَالَتْ: قَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا لِيَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٢٩]"، قَالَتْ: فَقُلْتُ: فِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ فَعَلَ أَزْوَاجُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ[2].

وحين وقع منهن الخطأ في حق النبي صلى الله عليه وسلم، لم يجاملن لموقعهن من رسول الله، بل أنزل الله سورة كاملة (سورة التحريم) عاتبهن في ذلك.

فعن عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ، قال: سَمِعْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ: أَنَّ أَيَّتَنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْتَقُلْ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ[3]، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ، فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ،

---

(١) رواه مسلم، رقم (٢٠٣) (١/١٩١).

(٢) رواه مسلم رقم (١٤٧٥) (٢/١١٠٣).

(٣) والمغافير: شيء ينضحه العرفط حلو كالناطف، وله ريح منكرة. الغريبين في القرآن والحديث (٤/١٣٨٠).

فَقَالَ: «لاَ، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ» فَنَزَلَتْ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} [التحريم: ١]- إِلَى - {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ} [التحريم: ٤] لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ} [التحريم: ٣] لِقَوْلِهِ: «بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا»[1].

وعن ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ، مَنِ المرْأَتَانِ اللَّتَانِ تَظَاهَرَتَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَمَا أَتْمَمْتُ كَلاَمِي حَتَّى قَالَ: «عَائِشَةُ، وَحَفْصَةُ[2]».

وعنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ «فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ[3]».

فالعتاب الذي في سورة التحريم، يبين أن القرابة مهما كانت لا تنفع المرء، وإن أخطأ فيتحمل خطؤه ويحمل وزره، وتمالؤ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عليه خطأ يحتاج إلى توبة نصوح، ثم لم تكتفي السورة بالعتاب، بل ضرب الله أمثلة لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم بقرابة الأنبياء، اللواتي خنَّ أزواجهنَّ، فلم تنفعهن قرابتهنَّ، كزوجتي نوح ولوط، ثم ضرب مثلاً بمن قرابتها من طاغية وظالم جبار نفعها إيمانها، ولم يضرها القرابة من المجرم والطاغية، كامرأة فرعون، ثم ختم بذكر مريم ابنت عمران، والتي نفعها إيمانها وتقواها.

الخاتمة:

لقد جاء الإسلام بمنهج يحمل في طياته العدالة المطلقة، فهو منهج رباني لم يفرق بين أحد مهما بلغت مكانته ومنزلته بين البشر، وقد أوضح القرآن الكريم هذه العدالة وتجلت كذلك في السنة النبوية، وقد جاء هذا البحث لمعالجة الأوهام التي ترسخت لدى بعض الطوائف البشرية بأفضلية القرابة من الأنبياء، وقد توصل الباحث في بحثه إلى النتائج التالية:

١- أن القرابة النسبيّة للأنبياء لا تنفع الإنسان مهما علت هذه القرابة.

٢- تجلي العدالة الإلهية في هذه المساواة بحيث لا يتفاضل الناس إلا بالعمل الصالح والإيمان الصادق.

٣- أن القرابة من الأنبياء لا تسرع بالإنسان إلى الجنة، والقرابة من الطغاة والجبارين لا تؤخر الصالح مهما كانت درجة طغيانه.

٤- أقارب النبي صلى الله عليه وسلم يجري عليهم ما يجري على قرابات الأنبياء جميعاً، كآدم وابنه قابيل، ونوح وابنه وزوجته، ولوط وزوجته، فهم متساوون مع بقية البشر.

(١) رواه البخاري رقم (٥٢٦٧) (٧/٤٤) ومسلم رقم (١٤٧٤) (٢/١١٠٠).
(٢) رواه البخاري رقم (٤٩١٤) (٦/١٥٨).
(٣) رواه البخاري رقم (٤٩١٩) (٦/١٥٨).

ويوصي الباحث بالآتي:

١-استخراج كنوز المنهج الإلهي من الكتاب والسنة، فخير الهدي هدي محمد.

٢-قيام الباحثين بنشر الأبحاث التي تحطم المعتقدات البشرية المخالفة للمنهج الرباني.

المراجع:

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت.

ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

ابن حبان، محمد بن حبان البستي، (١٤١٤هـ–١٩٩٣م)، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢.

ابن حنبل، أحمد بن محمد، (١٤٢١هـ-٢٠٠١م) مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١.

ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، (١٤١٤هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط٣.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، (١٤٠٧–١٩٨٧)، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤.

الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م) معرفة علوم الحديث، المحقق: السيد معظم حسين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، ١٤١٥–١٩٩٥، مختار الصحاح، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، تحقيق: محمود خاطر، عدد الأجزاء: ١.

الشيباني، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الناشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة، عدد الأجزاء: ٦.

الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢.

الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (٧٤٣هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، عدد الأجزاء: ١٣ (١٢ ومجلد للفهارس).

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: ١٣.

القاري، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان.

المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ١١.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: ١٨.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الهروي البغدادي، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، غريب الحديث، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، عدد الأجزاء: ٤.

الهروي، أحمد بن محمد، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، الغريبين في القرآن والحديث، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، عدد الأجزاء: ٦.

اليحصبي السبتي، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.